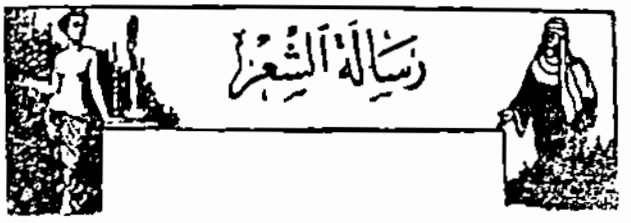

قصر شمبرون ..!

للشاعر الكبير عزيز أباظة

فى صيف العام الماضى زار الشاعر الكبير عزيز أباظة قصر شمبرون بمدينة فينا عاصمة النمسا ، ذلكم القصر الذى كتب فيه تاريخ النمسا ، والذى شهد أروع أمجادها وأجل أحداثها ، وقد طاف الشاعر بغرف ملوكها ومقاصيرهم ، هؤلاء الملوك الذين حكموا أكثر من خمسمائة سنة ، ثم زالت دولتهم ، وانطوت أيامهم على صحوة الشعوب ..

اضطربت هذه الخواطر فى نفس الشاعر الكبير ، وأثار مشاعره الطغيان الذى كان مضروبا على وطنه

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة فى العام الماضى ، وهو يتوقع لمصر نفس المصير الذى كتب على النمسا ، ثم ظلت القصيدة حبيسة عهد كريه طوته حركة الجيش الباسل ، حتى أذن الله لها أن تجد سبيلها إلى الناس

* * *

قال حادى القطار ، هذى فينّا ... فنشطنا من أسرنا وهبطنا
ولمحتونا سيارة تنهب الأرض ... فقلت اخطرى الهوينى الهوينى
إنما نسبحين فى صحوة التاريخ ... رفت هنا جمالا وفنا
خصها الله بالرواء فما تبصر ... إلا حسنا يناغم حسنا
روعة إن شهدتها وهى يقظى ... وفتون إن جئتها وهى وسنى

* * *

ما لها جهمة المعارف حسرى ... أدلال الصدود قبل الوصال ؟!
ومن الغيد ، من ترى وهى غضبى ... آية من سماحة وجمال
أين ثغر يفتر عن ألق الخلد ... وهدب يخفى جنون الليالى ؟!
أين عزف كأنه من لحون الله ... طهر الأهزاج والأرمال ؟!
ما لفينانها ذوى ؟ ما لشمس ... آذنت عند صحوة بزوال ؟!
أين حور كأنهن اللآلى ... إن أطاقت صيد القلوب اللآلى ؟!
أين ليل ينهل صبحا فما يمـ ... ـاز إلا بهجمة الأطفال ؟!
أكلت فتنة الليالى الليالى ... فامحت كالرؤى العذاب الخوالى

* * *

ووقفنا فى «شمبرون» فهاج النفس ... ذكرى الأقيال من « شمبرونا »
غرف خر فوق أعماطها الدهر ... وإن فض سترها المكنونا
ومقاصير شب فيها ، وشاب المجد ... ضخم الأسناد حتى بلينا
نسق من قياصر ، لم يروع ... بدخيل ، ولم يقل هجينا
عترة الكابرين من (هبسبرج) ... أين هم فى الكواكب الآفلينا ؟!
قال لى رائدى الذى يحفظ القول ... ويزهى به على الزائرينا
هذه حجرة الذى اعتبد الدهر ... وثل العروش « نابليونا »
واصطفاها ابنه ، فأينع فانهار ... فأودى فيها ذليلا سجينا
ومضى فى الذى يدير من القول ... ولم يلفنى سميعاً أذينا

* * *

ملت عنه إلى مناجاة نفسى ... أى دنيا هذى ، وأى مقادر
هتكت حرمة الملوك ، ودكت ... برحاها الطحون تاج القياصر
وطوتهم صرعى ، كما ينطوى الليل ... وطاحت بعادل وبجائر
أفنهج الزمان هذا ؟ يشيد الصرح ... كالطود فوق أنقاض آخر ؟!
أم هفا الناس للجديد من الحكم ، ... تخاضوا له لجاج المخاطر ؟!
ظلم الناس ، ليس كل جديد ... بشهى الجنى ، ولا كل دائر
إن حكم الملوك ، إن كان عدلا ... وعزوفاً عن الهوى والكبائر
والتماساً لطاعة الله فى الناس ، ... بيث الشورى ، ودعم المنابر
واحتفاء بهم ، وعطفا عليهم ... فى جدا صابر ، ورحمة قادر
واقتضاء من الياسير للمحروم ... حتى يأتمهم غير صاغر
وانتصافا من الجبابر للضعفى ... فلا يصطلون نار الجبابر
فهو ضرب من حكم أربعة الأشياخ تسنى به الدنا وتفاخر

* * *

قال لى رائدى ، أتسمع ؟ قلت السمع ملآن ، والجهود قواصر

عزيز أباظة